

رحلة إلى غورونغوسا في سبيل الطيور الجارحة

قلم: منير فيراني

سرّب صغير من طائر النسور
أبيض الرأس يتطلق حول
جيفة لتقاسم ما بقي
من لحمها لدى "منتزه
غورونغوسا الوطني"
في موزمبيق. بعد أن
تناقمت أعداد هذه الجوارح
المهيبية تناقصًا حادًا، تبذل
منظمات صون الطبيعة،
ومنهم "صندوق محمد بن
زايد للمحافظة على الطيور
الجارحة"، جهودًا كبيرة
لإنعاشها وحمايتها.

فبالتنسيق مع شركائنا الدوليين لدى "مؤسسة الحفاظ على
الحيوانات البرية المهدد بالانقراض" (EWT)، تركز عملنا تحديدًا
في غورونغوسا حول حماية النسور أبيض الرأس
(Trigonoceps occipitalis) المهددة بخطر انقراض أقصى
من قبل "الاتحاد الدولي لصون الطبيعة".

على أن مسعانا ذلك لم يقتصر على جهود الحماية بل تعداها
إلى التمكين، من خلال بناء القدرات لدى أهالي غورونغوسا
ليكونوا قادة المستقبل في مجال صون الطبيعة. وهكذا كان
هدفنا واضحًا جليًا: تنشئة جيل جديد من حُماة الطبيعة المحليين
ليواصلوا جهود صون الطيور الجارحة.

عند هبوطنا في مطار بيرا النابض بالنشاط، لمسنا ترحيبًا
كبيرًا من أهل هذه المستعمرة البرتغالية السابقة. وبعد إتمام
كل الإجراءات، التقينا طيارنا "روري" الذي كان بانتظارنا
لدى طائرته الصغيرة من طراز "سيسنا"، ليحلق بنا إلى قلب
منتزه غورونغوسا.

حلقت بنا الطائرة وسط أجواء الغروب الساطعة باللون
البرتقالي فوق مشاهد طبيعية آسرة، تتشكل من بقع زراعية،
وأراض جافة محروقة، ومن ثم ربوع خصيبة تمتد إلى ما وراء
نهر "بونغوي". وقد تأسس هذا المنتزه في عام 1960 على مساحة
مترامية الأطراف تناهز الـ4000 كيلومتر مربع، ويضم فسيفاء
خلاية من السافانا والمراعي والغابات المطرية. ويزخر كل ركن
من أركانه بالحيوانات البرية، من الفيلة المهيبية التي تجوب
السهول، إلى الطيور المتنوعة المفعمة بالنشاط والتي تملأ
السماء ألوانًا وشدًا.

على أن قصة غورونغوسا لا تخلو من ذكريات أليمة. فقد
اكتوى المنتزه بنيران الحرب الأهلية التي دامت 15 عامًا وانتهت
في عام 1992، مُفضية إلى إبادة أعداد كبيرة من الحيوانات البرية
وتشويه المشهد الطبيعي وكنم أصواته على مرّ أعوام من الزمان.
لكن وفي مطلع العقد الأول من القرن الحادي والعشرين،
بدأت فصول حكاية جديدة ومشرفة في غورونغوسا. فقد شرعت
حكومة موزمبيق في تنفيذ خطة شجاعة لإعادة الحياة إلى المنتزه،
بالشراكة مع حلفاء دوليين مثل "مشروع استعادة غورونغوسا"
و"مؤسسة غريغوري سي. كار". لم تقتصر الخطة على إعادة
نشر الحيوانات البرية المفقودة، ومكافحة الصيد الجائر؛ بل
جمعت بين حماية الطبيعة والنهوض بالمتجمع. ومن الأمثلة
الساطعة على هذا النهج الشامل، زراعة البن عالي الجودة في جبل
"غورونغوسا". إذ يُسهم هذا النشاط في إعادة تشجير الجبل،
وكذا في تحسين مستوى معيشة المجتمعات المحلية وبالتالي تعزيز
ارتباطها بأهداف صون الطبيعة.



خرائط ناشيونال جيوغرافيك

الصورة: فير فيراني، صندوق محمد بن زايد
للمحافظة على الطيور الجارحة

طويلاً ومرهقاً، لكن معنوياتنا ظلت مرتفعة بفضل ترقبنا
وتوقعاتنا الكبيرة من هذه الرحلة التي دامت أسبوعين
اثنين، وكانت مهمتنا فيها دعم جهود الحفاظ على
النسور في قلب منتزه غورونغوسا، حيث التجدد والانبعاث
والعجائب الطبيعية.

تأسس "صندوق محمد بن زايد للمحافظة على الطيور
الجارحة" في عام 2018 ومنذئذ وهو ملتزم تمام الالتزام
بالإسهام في الحفاظ على الطيور الجارحة على مستوى
العالم والحرص على بقائها وانعاشها. وقد اندرجت
رحلتنا تلك في صلب رؤية هذه المؤسسة ومقاصدها.

ظللْتُ وأنا أعمل بمجال صون النسور في كينيا، أمّتي
النفس بزيارة "منتزه غورونغوسا الوطني" في موزمبيق،
الشهير بنجاحاته المثيرة في استعادة الحياة البرية
وانعاشها من جديد. وبعد أعوام وأعوام، تحققت أمنيّتي
أخيراً بعد أن انتقلت للعمل لدى "صندوق محمد بن
زايد للمحافظة على الطيور الجارحة" في أبوظبي بدولة
الإمارات العربية المتحدة.

ففي يوم 9 يوليو من عام 2024 انطلقت و"محمد
صالح البيضاني"، المستشار لدى الصندوق، نحو مطار
دبي في رحلة إلى مدينة بيرا في موزمبيق. كان السفر



أقصى اليمين
يستعد أحد موظفي
"منتزه غورونغوسا
الوطني" لإطلاق نسر
أبيض الرأس بعد تثبيت
شارة تعريفية عليه
وتدوين معلومات بشأنه.

يمين
عانت زيمبابوي أعواقا
طويلة من الحرب الأهلية
أدت إلى تشويه المشهد
الطبيعي لمحمياتها.
واليوم تنبعث الحياة البرية
ههنا شيئاً فشيئاً على أمل
العودة إلى سابق عهدها.

أكثر من مجرد تحقيق حلم شخصي تحسد بفضل التزام
"صندوق محمد بن زايد للمحافظة على الطيور الجارحة"
بهذا المشروع، بل أسهمت أيضاً في صون أحد أكثر الطيور
عُرصة للانقراض في إفريقيا.

أذهلتني دروس الرحلة وعبرها. علمتنا أن لدى البرية قدرة
مذهلة على الانبعاث والتجدد حتى في وجود أعتى الظروف
وأصعبها. وعلمتنا أن صون الطبيعة ليس ضرورة بيئية
فحسب بل هو مسار متصل يُفضي إلى الازدهار المجتمعي.

لقد كانت رحلتي إلى منتزه غورونغوسا بمنزلة نداء صريح
ومباشر لحماية العالم الطبيعي وفهمه واحترامه. وقد
تشرفت بتلبية هذا النداء، وسأبقى دائم التطلع إلى خوض
مغامرات جديدة في سبيل حماية كوكبنا وما يحويه من
عجائب طبيعية. □

منير فيراني عالم أحياء وناشط في مجال صون الطبيعة،
يشغل منصب المدير التنفيذي لدى "صندوق محمد بن زايد
للمحافظة على الطيور الجارحة"، وهو مستكشف لدى
ناشيونال جيوغرافيك منذ عام 2017.

كانت رمزاً للاتحاد والرفقة وذابت معها الاختلافات
الثقافية بيننا. ففي تلك اللحظات، لم نكن مجرد زملاء
عمل أو حماة طبيعة، بل كنا أصدقاء نتشارك القصص
والضحك والشغف.

عشنا في الأيام التالية مزيجاً من البهجة والارتباط
العميق بالأرض وسكانها. تجولنا في المنتزه، وصادفنا
مخلوقات كبيرة وصغيرة: طيور اللقلق ذات المنقار السرجي،
والعقبان البنية، والتماسيح، وغرير العسل، وظباء الكودو
الكبرى، وظباء النبالا المراوغة. كانت كل لحظة مُضيها
تحت السماء الإفريقية بمنزلة تذكرة لنا بأهمية الحفاظ على
التوازن الدقيق بين الكائنات الحية على كوكبنا.

بعد مغادرتنا غورونغوسا، ظلت الصور الحية للمناظر
الطبيعية والحياة البرية والأشخاص الذين يشرفون
عليها محفورة في ذاكرتي. أصبحت نداءات البرية وغروب
الشمس النابض بالحياة وزئير الأسود العميق في الليل،
جزءاً من كياني يستدعي إلى ذهني جمال البراري الإفريقية
والمساعي المستمرة للحفاظ عليها. فلقد كانت الرحلة

هذه الطيور المهيبة فرصة نادرة للإمساك ببعضها وتثبيت
شارات تعريفية عليها ثم إطلاقها في البرية. وكان فهمنا
هذه النسور وسعيها لحمايتها يتعززان مع كل شارة نضعها
عليها وكل معلومة نجمعها.

تطلبت عملية الإمساك بالنسور تحضيراً مكثفاً وانتظاراً؛
إذ كنا نصب الفخاخ المطعمة باللحوم، ونفرشها بغطاء نباتي
طبيعي، ثم ننتظر في صمت، ساعات وساعات أحياناً.
وكنا نشعر بالإثارة كلما رأينا نسرًا يقترب بحذر، ثم يهبط
في النهاية حوالي الطعم. كان أندريه حذرًا ودقيقًا في تعامله
مع كل نسر، وأعجبتُ جدًا بأخلاقياته في العمل. شعاره:
"سلامة الطائر قبل كل شيء".

في خضم تلك الجهود، كانت لدينا طقوس يومية خاصة
لا محيد لنا عنها: استراحة الصباح مع زميلنا البيضاني.
ففي كل يوم، كان يُعد لنا شاي "الكرك" ويقدم لنا التمر
ونحن نجتمع حوله مستمتعين بحديثه المونس وحماسه
الكبير وروح الدعابة لديه. كانت فناجين شاي الكرك التي
جاد علينا بها البيضاني أكثر من مجرد مشروب لذيذ؛ لقد

هنالك بدأ المنتزه في التعافي مع رجوع الحيوانات البرية
إلى المشهد؛ إذ عادت الفيلة والأسود وأفراس النهر إلى
موائلها الأصلية، ورجعت الطيور بنغماتها التي تملأ
الأجواء. كما ازدهر البحث العلمي الذي يُلقى الضوء
على المنظومة البيئية للمنتزه ويوجه دفة جهود الحفاظ.
وازدهرت السياحة مجددًا فعززت فرص العمل لدى
السكان والشعور بالمسؤولية تجاه المنتزه.

عند هبوطنا على مدرج الطائرات لدى "مخيم شيتينغو
للسفاري" في قلب المنتزه، استقبلنا بحرارة كل من "أندريه
بوئا" و"ريبيكا بيشوب" من "مؤسسة الحفاظ على
الحيوانات البرية المهددة بالانقراض"، و"مارك ستالمان"،
مدير العلوم لدى المنتزه. في ليلتنا الأولى، تناولنا العشاء
تحت سماء مرصعة بالنجوم ونحن نتبادل القصص، ولم
تسمح لي الإثارة بالنوم إلا قليلاً. شعرت أنني عدت إلى
حيث أُنتمي.. إلى قلب إفريقيا وروحها. أصبحت أصوات
الحيوانات، وبخاصة زئير الأسود الصادر من بعيد، جزءاً
دائمًا من ليالينا، خلق لدينا شعورًا عميقًا بالارتباط بهذا
المشهد الطبيعي.

بعد فجر كل يوم، كنتُ والبيضاني نتناول وجبة إفطار
دسمة قبل الشروع مع أعضاء فريقنا في أداء مهمتنا
الأساسية: صون النسر أبيض الرأس. وقد منحنا معقل

الصورتان: منير فيراني، صندوق محمد بن زايد
للمحافظة على الطيور الجارحة